



عبدالحي والسهر علي إشراقة التجاني يوسف بشير

د. عبد الله علي إبراهيم

IbrahimA@missouri.edu

مرت الذكرى الرابعة عشر لوفاة الشاعر الدكتور محمد عبد الحي. ومن بين كل المشاريع التي ربطتنا معاً كان إصدار طبعة محققة منقحة مشروحة لديوان "إشراقة" للتجاني يوسف بشير. وقد أعادني إلى ذكرى ووعده هذا المشروع الأستاذ خالد محد فرح بكلمته "التصنيف في أعمال الطبيب صالح: عشب جميل يحطوطب"، التي نشرها علي موقع "سودانيل" بالانترنت. وقد حصر في كلمته الأخطاء الطباعية الكثيرة التي وقعت في سفر الأعمال الكاملة للطبيب (دار العودة ببيروت). ولا يقوم بمثل هذا العمل إلا من كان مثل خالد معرفةً بـ"أم اللغات" يضمن بها على الخطأ. وقد قدم لمقاله بكلمة لي قديمة عنوانها "كيف أحطوطب عشب إشراقة التجاني يوسف بشير"، كنت نشرتها في سلسلة "كاتب الشونة" التي أصدرتها بالرونيو الشيوعي وأنا قيد التخفي في السبعينات. ثم عدت ونشرتها في مطبوعات أخرى. ورصدت في كلمتي الأخطاء المطبعية التي وقعت في "إشراقة" عبر طبعاتها المختلفة، وكيف أنها، لكثرتها وتفاقمها، قد أنتجت لنا ديواناً لم يقصد الشاعر أن يكتبه. وسميت الظاهرة "احطوطاب عشب إشراقة".

سألني الكثيرون لماذا طبعت نصاً أدبياً برونيو الشيوعيين وكان يمكن نشره بصورة علنية. وقلت للسائلين كان قصدي تربية الشيوعيين، والعمال بينهم، وعن كذب، أن لا يقبلوا الدنيئة في لغة أدبهم السياسي الغالب. فلو أساءت العربية إلى التجاني، ساحر اللغة، فعلي الدنيا السلام. فالسياسة لغة وكل مشروع مستقبلي كالإشراكية لا يتحالف مع البلاغة، أما سقط أو تولاه عديمو الوجدان، فحولوه إلى مأساة. وما تزال الصورة التي خرج بها مقالي بالرونيو هي أصوب صورته قاطبة.

عبد الحي صديق لي من عهدنا في جامعة الخرطوم في أوائل الستينات، إلا أن إشفافنا علي ديوان التجاني وحد بنا برباط وثيق من الذعر على قامة العربية. فلما كنت مشغولاً بحصر أخطاء "إشراقة" في مخبئي، كان عبد الحي قد عثر بين عائلة التجاني، وبفضل الأستاذ بكرى الكتيابي، المخطوطة الأصل لإشراقة بخت التجاني. ونشر الخبر بملحق الصحافة الثقافي بتاريخ 27 يناير 1977. وكان عشب التجاني المحطوطب هو مدار حديثنا حين يستضيفني في جناح الظلام بداره بشمبات ويكرم



وفادتي. ثم خرجت من الشيوعيين وعدت للعمل بجامعة الخرطوم. وعثرت علي بعض أوراق المرحوم المبارك إبراهيم (الذي حمل مخطوطة لإشراقه إلى مصر في 1942)، مودعةً في مكتبة معهد الدراسات الأفريقية وفيها إشارات للتيجاني. وأخذ مشروع الطبعة المنقحة لإشراقه طوره الجدي بعد إصابة عبد الحي بالشلل في 1980. فقد شرعنا في العمل من مكتب وفره المرحوم علي المك، الذي تحمس لمشروعنا، بدار النشر بجامعة الخرطوم التي كان يديرها. ثم سافرت في بعثة دراسية في 1981 وتقطعت أسبابي بإسعاف إشراقه. وسافر هو للعلاج بانجلترا وكتب لي بأمریکا أن المشروع قد تجمد وأن علي المك، رئيس تيم التحقيق، سينتظر حتي يجمعنا: هو وأنا والكتيابي. ثم نستفيد من عبد الله الطيب "من علمه وشغبه"، كما قال في رسالته. ولم يحدث هذا بالطبع. وحين اجتمعت به في آخر الثمانينات، كان محمداً قد ضعف كثيراً ونشأت لي أنا أسبقيات أخرى، فلم نجدد الحديث عن المشروع إلا لماماً على كثرة ما كنت ألقاه في داره بالسراية الصفراء الجامعية.

لم التق بعشه، زوجة المرحوم، وأسرته منذ 1991. وقد أسعدني أن عشه توفرت على نشر بعض أعماله أخيراً. وأتمني أن تكون أوراق المرحوم وخطه لطبعة إشراقه المنقحة من ضمن أسبقياتها. وستجدي وآخرين زادوا عدداً وسهراً على العربية طوع بنانها. لتكن إشراقه الغراء صدقة أخرى لعمر عبد الحي الجميل الشجاع.

د. عبدالله علي إبراهيم

جامعة ولاية ميسوري – كولمبيا

2003